خاتم الأنبياء

محمد ياسر أمين الفتوى - سورية

سَنَامُكَ الحقُّ مرموقٌ به السَّنَمُ
وقد سمَا محفلا في وحْيك الكَلِمُ

وفي مَبرَّات أدهَارٍ مخلَّدَةٌ
في منْتَداها توالى البرُّ والكَرَمُ

والحُبُّ والعدلُ في إشراق مَنْهجها
والرُّوحُ شفَّافةٌ بالنور تَتَّسمُ

ما حادَ عن وَهْجها صبحٌ تقومُ به
حضارةٌ لم تطاول سَمْتها القِمَمُ

يا خاتَم الأنبياء المُرْسلين صَفَتْ
بك القلوب وَأَثْرَتْها بكَ القِيمُ

تَجلُّ ساعية في كل مَنْقبة
وقد جَلَتْها الخِصالُ البيضُ والشِّيَمُ

ولم تكن في حقول الفَضْل غير صدىً
تأنَّقَتْ في معاني بَوْحها الحِكَمُ

وردَّدَتْها شفاهُ الكونِ مُنْعَمةً
كأنما الكونُ في تَرْدادها حَرَمُ

واحتَوتْها ضلوع الأرضِ مخصِبَةً
وقد أُغيثَ بها الإقلالُ والعَدَمُ

■ ■ ■

فلا يَباسَ بأبعاد مُخدَّدَةٍ
ولا دُجىً مُطْبقا تغلو به الظُّلَمُ

وكنتَ يا سيدَ الأبرارِ خيرَ رضىً
وخيرَ بُرْءٍ لمُسْتَعْصٍ به السَّقَمُ

مُبلِّغا وَحْيَ ربِّ العالمينَ ، ولم
يُلِنْ قَناتَكَ من أعداءَ ما غَشموا

وقد ثبتَّ فلا شمسٌ إذا وُضِعتْ
إن في اليمينِ ، ولا بَدْرٌ بما وَهموا

كلاهُما أحبطا من سُوءِ زيفهمُ ... ما قد رَجَوْهُ ، وباؤوا صاغرينَ هُمُ
وبالغوا في العناد الصَّعْب تحزبهُمُ ... جهالةٌ في أباطيل التي زَعَموا
فكان صعبُهم أوشال من زبد ... مَضى جُفاءً فلا فازوا ولا غَنموا
وقد تحطَّمت الأصْنامُ وانْدَثرتْ ... فَلَمْ يَعُدْ في بقاع طُهِّرَتْ صَنَمُ
وشفَّ ما اعتقدوا عن نُبْل فطْرتهمْ ... وراقَهمْ مبدأ في حرْزه اعتصموا
وجنَّدوا في مجال النور أنْفُسَهُمْ ... ففي رحابتهمْ من نُورهمْ عَمَمُ
وأنبَتوا عنْوَةَ إيمانهمْ فَنَما ... موطَّداً برضى ما هُمْ عليه نَموا
كذاك يا أيها الهادي المظفَّر قد ... بلَّغْتَ مُعْتَقَداً دانَتْ به الأُمُم
فأشْرَقَتْ بضياء الله قاطبةً ... دُنى ، وعمَّتْ بها الخيراتُ والنَعَمُ
فلا شعوبَ بها إلا سواسيةٌ ... في كفَّتَيْها تَساوى العُرْبُ والعَجَمُ
يا خاتَم الرسل الأخيار شاهدةٌ ... آياتُ ربك في إنصاف ما اتَّهموا
وأنَّكَ الخُلُقُ الأعلى وأعظمُهُمْ ... بين الأنام وأسْمَاهُم بما وُسموا
والرَّاحمُ الفذُّ في أعتى الخطوب ضَنىً ... وكنتَ أنبلَ مَن لانوا ومَن رَحموا
«فأنتمُ الطلقاءُ» الآمنونَ هَمَتْ ... نضارةً وزَهَتْ في نَسْغها الدِّيَمُ
وأوْرَقَتْ في فيافي الأرض ماجدةً ... وجلَّ تاريخُها والحبُّ والذِّمَمُ
وقد أقَمْتَ حدودَ الله ساميةً ... فحقَّ عَدْلٌ سَماوي به حَكَموا
به اطمأنوا فلا خوفٌ ولا وجلٌ ... وقد علا مجدُهُم في كُنْه ما التَزموا
وما نَأوْا عن حياض رجَّ حَوْمتَها ... نبلُ المقاصد في أبعاد ما حلَموا
فانداح عنها سلامٌ لن تُخَدِّشَهُ ... أظافرُ البَغْيِ ما كادوا وما نَقَموا

■ ■ ■

وأنت من يا رسول الله قد مُهِرَتْ ... به حقوقٌ جلاها المجدُ والعظَمُ
وقد رفعْتَ صروحَ العدل سامقةً ... وفي ذُراها تلاقى الناسَ والتأموا
فما نأى وهجُكَ الممتدُّ عن زمنٍ ... وما جفَتْ أرضَنا الأضواءُ والنَّسَمُ
حتى أتى زَمَنٌ والغَرْبُ يُغْرِقُهُ ... زيفٌ يُخثرهمْ في وحل ما زَعموا
حريةٌ فسَّخَتْ أردانَهم مِزَقاً ... فكان عرْيهُمُ فَخْراً به عُلِموا

ومجَّ غوغاؤُهم حقْدا بما رَضَعوا ... تُنبي شراستُه عما به فُطموا
في وقْع نبْضهمُ غَيْظٌ يُميِّزُهُمْ ... وزادَ أنَّ لهم فيما يَشينُ فَمُ
حتى تمادوا جهارا في مساسهم ... طهرا يمور بأنقى ما يضخُّ دمُ
يا صفوةَ الناس والأيامُ دائرَةٌ ... كذاك يَجْرُؤُ مَنْ هُمْ بالخَنا وُصموا
عماهُمُ الجهلُ سرّاً أو علانيةً ... فهم بأوضاره خاضوا وما سَلموا
وهم بما قَعَّدوا أرجاءَ ليلهمُ ... لم يَعْرفُوا الصبحَ في تقعيد ما فَهموا
وأسْرفوا في عداءٍ لا يُحدُّ به ... تطاولٌ لا ولا يَخْبو به ضَرَمُ
وقد عُموا عن ضحىً رَحْبٍ وكبَّلهم ... دُجى العقول ، وفي أسداله التَحموا
يا صَفْوَةَ الخَلْق ، هم أعداؤنا هملٌ ... من وَقْدَة الروح والتهذيب قد حُرموا
لم يقرؤوا أيَّ تاريخ يثقّفهُمْ ... وما وَعَوْا فضل أفضالٍ وما احترَموا
ولا أَلُمّوا بما قالتْ أكابرُهُمْ ... مقالةَ الحق في إنصاف ما عَلموا
وفي اختياراتهمْ كنتَ الذي شَهدوا ... له بأنَّكَ أنتَ الأوَّلُ العَلَمُ[1]
وكنت في المئة الأخيار رأسهمُ ... وأنتَ أنتَ الأمينُ الصادق الفَهمُ[2]
بكل موطنِ إنسانيَّة عَظُمَتْ ... مُجداً ، فأنت مُجلَّى راسخٌ قدمُ
وقال « كارليل» في إنصافه دُرَرا ... يخاطبَ القوم تأنيبا لمن ظَلَمُوا[3]
كلْنا الشتائمَ عن حقْد وعن سَفَه ... فنحنُ مَنْ وُصموا حقا بما شَتَمُوا
«محمَدٌ» بازغٌ بالنُّور حَسْبُ سَنىً ... في كُلِّ قَلْبٍ وَطَرْف شفَّ يَرْتَسمُ
هو الرسولُ المُزكّى في مَناقبه ... وفي مكارمه العُظْمى هو الهَرَمُ
بذكْره تَطْمَئنُّ الرُّوحُ مُسْلَمَةً ... ودونه أيُّ ذكرٍ مُدَّعٍ يَجِمُ
ما ضرَّهُ ناعقٌ ضالٌّ يَكيدُ له ... - لنا العلا - ولأنْفِ النّاعقِ الرَّغَمُ

■ ■ ■

الهوامش:

(١) إشارة إلى الاستفتاء العالمي الذي جرى عام ١٩٧٤م حول أعظم رجل في العالم فكان محمدا صلى الله عليه وسلم.

(٢) الاستفتاء العالمي الثاني عام ١٩٨٧م فكان على رأس المئة التي اختيرت لأعظم شخصيات العالم نفوذا وتأثيرا.

(٣) توماس كارليل أعظم رجل غربي بريطاني، أوقف حياته مدافعا عن الرسول العظيم، مبينا مناقبه العظيمة الخالدة، ومنتقدا منتقديه منذ قرن ونصف.